سلسلة

قصص في الآداب

٥

آداب النصيحة

يسرى سعد شعيب



بسم الله الرحمن الرحيم

قصص آداب الإسلام

٥

قصص آداب النصيحة

إعداد

يسرى سعد شعيب

الطبعة الأولى

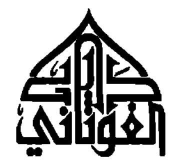
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم التسلسل ٥٨

سورية - دمشق - حلبوني - ص.ب ٢٥٢٣٧

فاكس : ٢٤٥٤٠١٣ ١١ ٩٦٣+ هاتف ٢٤٥٣٦٣٨ ١١ ٩٦٣+

algwthani@scs-net.org



أَعرابيٌّ في المَسجِدِ

ذاتَ يَومٍ، كانَ ﷺ جَالساً مع أصحابِهِ في المَسجِدِ، فجَاءَ أَعرَابيٌّ، وَوقفَ يَبُولُ.

ولمَّا رَأى الصَّحابةُ هذَا المَنظرَ، أسرعُوا إليهِ ليَمنَعُوهُ، فَأشَارَ إِليهِمْ النَّبيُّ ﷺ وقَالَ لَهُمْ: «دَعُوهُ، حتى يُتِمَّ بَولَهُ».

ترَكَ الصَّحابةُ الرَّجُلَ حتَّى قَضَى حاجَتَهُ، ثُمَّ نَاداهُ النَّبيُّ ﷺ.

فلَمَّا وَقَفَ الرَّجُلُ أمامَ النَّبيِّ، قَالَ ﷺ لَهُ: «إنَّ هذهِ المَساجِدَ لا تَصلُحُ لِشيءٍ مِنْ هذَا البَولِ ولا القَذَرِ، إنَّما هِي لِذِكْرِ اللهِ عزَّ وجلَّ وَالصَّلاةِ، وقِراءَةِ القُرآنِ».

ثمَّ التفتَ رسُولُ اللهِ ﷺ إلى أصحابِهِ، وقَالَ لَهُمْ: «أَريقُوا علَى بَولِهِ سِجْلاً مِنْ مَاءٍ أَو ذَنُوباً (دَلواً) مِنْ ماءٍ، فإنَّمَا بُعِثتُمْ مُيَسِّرِينَ، ولَم تُبعثُوا مُعَسِّرينَ»[متفق عليه].

الأنبياءُ وَالمُرسَلُونَ يَنصَحُونَ النَّاسَ جميعاً بِهدايتِهِمْ إلى طَريقِ الحَقِّ، وكذلكَ المُؤمِنُونَ يَنصَحُونَ بَعضَهُمْ لأنَّهُمْ إِخوَةٌ.

الحَربُ وَالمَكِيدَةُ

عندمَا وصَلَ جيشُ المُسلِمينَ إلى بَدرٍ استعدَاداً لِقتَالِ كُفَّارِ قُرَيشٍ، نَظرَ الحبَابُ بنُ المُنذرِ، فَوجَدَ أنَّ عُيونَ الماءِ قَريبَةٌ مِنَ المُشركِينَ، فَسَألَ النَّبيَّ ﷺ: أهذَا مَنـزِلٌ (مكَانٌ) أنزلَكَهُ اللهُ، أمْ هُوَ الرَّأْيُ والحَربُ وَالمَكِيدَةُ؟

فَقَـالَ لـهُ رسُـولُ اللهِ ﷺ: «بَـلْ هُـوَ الـرَّأْيُ والحَـربُ والمَكِيدَةُ».

فَأشارَ عليهِ الحُبَابُ أنْ يَتَقدَّمَ بِالجَيشِ لِيُسَـيطِرَ المُسـلِمُونَ علَى المَاءِ فَلا يَشرَبُ منْهُ الكُفَّارُ.

فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ».

ثُمَّ أمَرَ النَّبيُّ ﷺ بِتنفِيذِ مَا أشارَ بهِ الحُبابُ، وَانتقَلَ جَـيشُ المُسلِمينَ إلى المَوقعِ الجَديدِ، فَكانَ هذَا مِنْ أسبابِ انتِصارِهِمْ في بَدرٍ. [ابن إسحاق].

تَقديمُ النُّصْحِ مِنْ أسبابِ الفَلاَحِ قَالَ تَعالَى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤]



رِفقٌ فِي النَّصِيحَةِ

جاءَ معاويةُ بنُ الحَكَمِ السَّلَميُّ رضي الله عنه إلى المَدينةِ؛ لِيتَعلَّمَ آدابَ الإسلامِ، وَيلْتَقِيَ بِرَسولِ اللهِ ﷺ.

ولمَّا حَانَ وقتُ الصَّلاةِ، دخلَ المَسجِدَ لِيُصلِّيَ، وَفِي أثناءِ الصَّلاةِ، عَطَسَ رَجُلٌ، وقَالَ: الحمدُ للهِ. فَقالَ لهُ مُعاويةُ بصوتٍ عَالٍ: يَرْحَمُكَ اللهُ.

فلمَّا تَكلَّمَ مُعاويةُ في الصَّلاةِ، سَبَّحَ النَّاسُ لِيَسْكُتَ وَلاَ يَتَكلَّمَ في صلاَتِه. ولَمَّا انتَهتِ الصَّلاةُ، قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَنِ المُتكلِّمُ»؟ فَقالَ النَّاسُ: هذَا الأَعرابيُّ.

فَنادَاهُ النَّبيُّ ﷺ، وقَالَ لَهُ: «إنَّما الصَّلاةُ لِقراءةِ القُرآنِ وذِكْرِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فإذَ كُنتَ فِيهَا فَليكُنْ ذلكَ شَأْنُكَ».

فَقالَ مُعاويةُ: مَا رأيتُ مُعَلِّماً قَطُّ أرفَقَ مِنْ رسُولِ اللهِ ﷺ. [أبو داود].

الرِّفقُ مِنْ آدابِ النَّصيحةِ، وَالنَّبيُّ ﷺ يقولُ: «مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شيءٍ إلاَّ زَانَهُ (زيَّنَهُ وجمَّلَهُ)، ومَا نُزِعَ الرِّفقُ مِنْ شيءٍ إلاَّ شانَهُ (قبَّحَهُ وعابَهُ)» [متفق عليه].

النَّاصِحُ وَالخَلِيفَةُ

ذاتَ يومٍ، استأذنَ رَجُلٌ في الدُّخولِ علَى الخَلِيفةِ العبَّاسيِّ المَأمـونِ، فلَمَّا أَذِنَ لَهُ، دَخَـلَ إليهِ، وحيَّـاهُ ثُمَّ أَخبرَهُ أنَّهُ لَمْ يَحْضُرْ إليهِ إلاَّ ليَعِظَهُ ويُخْبِرَهُ بِعُيوبِهِ، ويَنْصَحَهُ، فتَكلَّمَ بِشدَّةٍ وبلَهجَةٍ حَادَّةٍ.

فتَعجَّبَ المَأمونُ مِنَ الرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يُقدِّمْ لَهُ النَّصيحَةَ في رِفْقٍ ولِيْنٍ وَحِكْمَةٍ. فَقالَ لهُ: يَا رَجلُ! ارفِقْ، فَقَدْ بَعَثَ اللهُ مَنْ هُوَ خيرٌ منْكَ إلى مَنْ هُوَ شرٌّ منِّي، وأمرهُ بالرِّفقِ.

فَتعجَّبَ الرَّجُلُ، وتَساءَلَ عَنِ الَّذِي بَعثَهُ اللهُ نَاصِحاً، وَعنِ الشِّريرِ الَّذِي أُرسِلَ إليهِ.

فلمَّا رَأى المَأمونُ علاَمَاتِ التَّعجُبِ وَالاندِهاشِ علَى وَجهِ الرَّجُلِ، قَالَ لهُ: بَعَثَ اللهُ مُوسَى وأَخَاهُ هارُونَ ـ عَليهِمَا السَّلامُ ـ إلى فِرعَونَ، فقالَ لَهُمَا: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[طه: ٤٤].

كانَ ﷺ إذَا باعَ الشَّيءَ أو اشتَرَاهُ قَالَ: «أمَا إنَّ الَّذِي أخَذنَا مِنكَ أحَبُّ إلينَا ممَّا أَعطينَاكَ، فَاختَرْ» [أبو داود].

ذَكاءٌ فِي النَّصيحَةِ

فِي قديمِ الزَّمانِ، كانَ هناكَ أخوَانِ، ربَّاهُمَا أبوهُمَا الصَّالحُ علَى إحسانِ كلِّ شيءٍ يُؤدِّيانِه.

وكانَ الغُلامانِ يَتعلَّمَانِ كلَّ مَا يُفيدُهُمَا في حياتِهِمَا، وكانَا يُقْبِلانِ علَى دُروسِ العِلْمِ، حتَّى أصبَحَا على دِرايَةٍ بكثيرٍ مِنْ أُمورِ الدِّينِ وهُمَا في سِنٍ مُبكِّرَةٍ.

وذاتَ يومٍ، رأَى الغُلامَانِ شَيخاً لا يُحْسِنُ الوُضُوءَ، فَفَكَّرَا كيفَ يُعلِّمانِهِ دُونَ أنْ يَجْعَلاهُ يَشعُرُ بالحَرَجِ.

فَذهبَا إليهِ وأَخبرَاهُ أنَّ كِلَيهِمَا تَوضَّأَ وُضُوءاً أفضلَ مِنْ أخيهِ، وأنَّهُمَا اختلَفَا فِي أيِّهِمَا أحسَنُ وضُوءاً مِن الآخَرِ، وطلبَا مِنَ الشَّيْخِ أَنْ يَحكُمَ بينَهُمَا: أيُّهُمَا أصَحُّ وضُوءاً.

وَتوضَّأَ كلٌّ مِنْهُمَا، فلَمَّا انتَهيَا مِنَ الوُضُوءِ أمامَهُ، قَالَ لَهُمَا: لَقَدْ أصبْتُمَا، وأنَا الذِي أخطأْتُ.

ثُمَّ شكَرَهُمَا وانصَرَفَ مَسروراً بِذَكاءِ الغُلامَيْنِ وَأَدَبِهِمَا في نُصحِ الآخَرِينَ.

الذَّكاءُ مطلوبٌ في النَّصِيحَةِ، والرَّسولُ ﷺ كانَ كَثيراً مَا يُعرِّضُ بِالنَّصيحةِ، فيقولُ: «مَا بالُ أقوامٍ قَالُوا كذَا وكذَا» [مسلم].

نَصِيحةُ جَرِيرٍ

كانَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه جَالِساً مـعَ النَّـاسِ يَوماً، فَأَخرجَ رَجُلٌ رِيْحاً، فَقالَ عُمَرُ: عَزَمتُ علَى صاحبِ هذَا أنْ يتَوضَّأَ.

وكانَ جَرِيرُ بنُ عبدِ اللهِ البَجَلِيُّ رضي الله عنه حاضِـراً، فَأَحَبَّ أَنْ يُنْقِذَ صَاحِبَ هذَا الرِّيحِ مِنَ الإحـراجِ، فَقـالَ: يَـا أميرَ المُؤمنِينَ، لَو تَعزِمُ عَلينَا جَميعاً أَنْ نَتَوضَّأَ.

فَأُعجِبَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ بالرَّأْيِ الَّذِي أشارَ بهِ جَرِيرٌ، وقَالَ لَهُ: جَزَاكَ اللهُ خَيراً.

وأَمَرَ عُمَرُ رضي الله عنه النَّـاسَ جَميعـاً أَنْ يتوَضَّـؤُوا، ونَجَا صاحِبُ الرِّيحِ بِفَضلِ نَصيحَةِ جَرِيرِ بنِ عبـدِ اللهِ. [ابـن عبد البر].

المُسلِمُ يَتَجنَّـبُ أَنْ يَنصَـحَ أَخَـاهُ أمـامَ الآخَـرينَ ـ إلاَّ إذَا دَعَـتِ الضَّرورَةُ ـ؛ لأنَّ النَّصِيحةَ أمامَ النَّاسِ فَضِيحَةٌ.



نَصيحَةُ الحُدَيْبِيَّةِ

فِـي العـامِ السَّـادسِ مِـنَ الهِجـرةِ، خَـرَجَ الرَّسـولُ ﷺ وَأصحَابُهُ إلى مكَّـةَ لأَداءِ العُمْـرةِ، ولكـنَّ المُشـركِيْنَ مَنعُـوهُمْ وعَقَدُوا مَعهُمْ صُلْحَ الحُدَيْبِيَّـةِ، وكَـانَ مِـنْ شـرُوطِهِ أنْ يَرجِـعَ المُسلِمُونَ هذَا العامَ ويَعُودُوا في العامِ المُقبِلِ..

وبعدَ إتمامِ الصُّـلحِ، أمَـرَ الـنَّبيُّ ﷺ أصـحابَهُ أنْ يَحلُقُـوا رُؤوسَهُمْ ويَذبَحُوا إبِلَهُـمْ، ولكـنَّهُمْ كـانُوا غَاضِـبينَ مِـنْ هـذَا الصُّلْحِ، فتأَخَّرُوا في تَنفيذِ أمرِ النَّبيِّ ﷺ، فَغَضِبَ ﷺ، ودَخَلَ علَى أُمِّ المُـؤمنينَ أُمِّ سَـلَمَةَ، وقَـالَ: «يَـا أُمَّ سَـلَمةَ! مَـا شَـأنُ النَّاسِ؟ أَمَرتُهُمْ فَلَمْ يَستَجيبُوا».

فَأشارَتْ علَى النَّبيِّ ﷺ أنْ يَقُومَ ولا يُكَلِّمَ أحداً، ويَذْبَحَ، ويَحْلِقَ رأسَـهُ أمـامَ النَّـاسِ. فلَمَّـا فَعَـلَ الـنَّبيُّ ﷺ ذلِـكَ، قـامَ الصَّحابةُ فَحَلَقُوا رؤُوسِهُمْ وذَبَحُوا إبِلَهُمْ. [البخاري].

إذَا استَشَارَ المُسلمُ أحَدَ النَّاسِ، طَلَباً لِنَصيحته، فإنَّهُ يَجِبُ عليهِ اختِيـارُ الإنسانِ الذَّكيِّ الفَطِنِ الَّذي يَجِدُ عندَهُ الإجابةَ السَّديدةَ المُقنِعَةَ.

نَصِيحةُ غُلامٍ

عندَمَا تولَّى عُمَرُ بنُ عبدِ العَزيزِ الخلافةَ، جَاءَتِ الوُفُودُ لِتَهنئتِهِ، وجاءَ وَفْدُ الحِجازِ، يتقَدَّمُهُمْ غُلامٌ صغيرٌ، عُمرُهُ إحدَى عشرةَ سنةً.

فَقالَ عُمَرُ: لِيتكلَّمْ مَنْ هُوَ أَسَنُّ (أكبَرُ سِنًّا) مِنْكَ.

فَقالَ الغُلامُ: أصلَحَ اللهُ أميرَ المُؤمنينَ، إنَّما المَرءُ بقَلبِهِ ولِسانِهِ، فإذَا منَحَ اللهُ عَبداً لِساناً نَاطِقاً، وقَلباً حَافظاً، فقَدِ استَحقَّ الكلامَ، وعرِفَ فَضْلَهُ مَنْ سَمِعَ خِطابَهُ، ولَو أنَّ الأمرَ ـ يَا أميرَ المؤمنينَ ـ بالسِّنِّ لكانَ فِي الأُمَّةِ مَن هُوَ أحَقُّ مِنْكَ بِالخِلافةِ.

فَقالَ: صَدقْتَ، قُلْ مَا بدَا لكَ.

فَهنَّأَهُ الغُلامُ بِكلامٍ رَقيقٍ، وَنصَحَهُ ووَعظَهُ.

فَأُعجِبَ عُمَرُ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ بِوَعْظِ الغُلامِ وَنصيحَتِهِ إعجاباً شَديداً.

تَقديمُ النَّصيحَةِ بمَا يَعودُ بالخيرِ على الآخَرينَ واجِبٌ على المُسلم. قالَ ﷺ: «لا يُؤمِنُ أحَدُكُمْ حتَّى يُحِبَّ لأخيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» [متفق عليه].

الصَّلاةُ المُطمَئنَّةُ

دَخلَ رَجلٌ مِنَ الأعرابِ المَسجِدَ، وصَلَّى صَلاةً سَريعةً؛ فلَمْ يَطمَئِنَّ في الرُّكوعِ وَلا في السُّجُودِ، ورآهُ النَّبيُّ ﷺ فقالَ لهُ: «اذهَبْ فَصَلِّ، فإنَّكَ لَمْ تُصَلِّ».

فَأعادَ الرَّجلُ صَلاتَهُ مرَّةً ثَانيةً، ثُمَّ جَاءَ إلى النَّبيِّ ﷺ، فَقالَ لَهُ: «اذهَبْ فَصَلِّ، فإنَّكَ لَمْ تُصَلِّ».

وَتكرَّرَ مَا حدَثَ مرَّةً ثَالثةً، وكَرَّرَ النَّبيُّ ﷺ مَا قَالَهُ، فَقالَ الأَعرابيُّ: يَا رسولَ اللهِ، وَاللهِ لا أُحسِنُ غيرَهَا.

فَعلَّمَهُ النَّبيُّ ﷺ كَيفيَّةَ الصَّلاةِ، وقَالَ لَهُ: «إذَا ركَعْتَ فَاطمَئِنَّ رَاكِعاً، وإذَا سَجَدْتَ فَاطمَئِنَّ سَاجِداً، وَافعَلْ ذَلكَ فِي صَلاتِكَ كلِّهَا» [متفق عليه].

النُّصْحُ مِنْ أخلاقِ الإسلامِ. قَالَ ﷺ: «المُؤمِنُ مِرآةُ المُؤمنِ، والمُؤمنُ أخُو المُؤمنِ: يكُفُّ عليهِ ضَيْعتَهُ، ويَحُوطُهُ مِنْ ورائِهِ (أي: يَحمِي لهُ أهلَهُ وَأملاكَهُ)» [أبو داود].

المَهْرُ الكَبيرُ

أَرادَ أميرُ المؤْمنينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه أنْ يُيَسِّرَ على الرَّاغبِينَ في الزَّواجِ، فأمَرَ أنْ لا يَزِيدَ المَهْرُ على أربعِمائةِ دِرهَمٍ.

وذاتَ يَومٍ، قَابَلَتْهُ امرأَةٌ مِنْ قُرَيشٍ وقَالَتْ لَهُ: يَا أميرَ المُؤمنينَ، نَهَيْتَ النَّاسَ أنْ يَزِيدُوا فِي مَهرِ النِّساءِ على أربعِمِائةِ دِرهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَتْ: أمَا سَمِعتَ مَا أنزَلَ اللهُ في القُرآنِ الكَريمِ؟! قَالَ: وأيُّ ذَلكَ؟

فَقالَتْ: أمَا سَمِعتَ قولَ اللهِ تَعالَى: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ [النساء: ٢٠].

قَالَ عُمَرُ: اللَّهُمَّ عَفْواً، كُلُّ النَّاسِ أَفقَهُ مِنْ عُمَرَ.

ثُمَّ جَمَعَ عُمَرُ النَّاسَ، وقَالَ: أيُّهَا النَّاسُ إنِّي قَدْ نَهَيتُكُمْ أنْ تَزِيدُوا في صَدَقاتِ المُهُورِ على أربعِمِائةِ دِرهَمٍ، فمَنْ شَاءَ أنْ يُعطِيَ مِنْ مالِهِ مَا أحَبَّ فَلْيَفعَلْ. [أبو يعلى].

لا بُدَّ أنْ يكُونَ النَّاصحُ أميناً في نُصْحِه؛ لذلكَ فهُوَ يُجنبُ كُلَّ المصَالحِ والأطمَاعِ الشَّخصيَّةِ عِندَ النُّصحِ، ويبتَغِي بِنُصْحِهِ وَجْهَ اللهِ تَعالَى.

النَّصِيحَةُ المُرَّةُ

دخَلَ أحَدُ العُلَماءِ؛ لِيَنصَحَ أميرَ المُؤمِنينَ سُليمانَ بنَ عبدِ المَلِكِ، فَقالَ لَهُ سُلَيمانُ: تكَلَّمْ. فقالَ: إنِّي سَأُكلِّمُكَ كَلاماً شَديداً، وَأنصَحُكَ نَصيحةً مُرَّةً، فَاحتَمِلْهَا، فإنَّ وراءَهَا مَا تُحِبُّ إنْ قبِلتَهَا. فقالَ سُلَيمانُ: تَكَلَّمْ، فَإنَّا نَجُودُ بِسعَةِ الاحتِمالِ على مَنْ يَنصَحُنَا. فَوَعَظَهُ مَوعِظَةً شَديدةً، قَالَ فِيهَا: يَا أميرَ المُؤمِنينَ!! أَحاطَ بكَ رِجالٌ اشتَرَوا دُنْيَاهُمْ بدِينِهِمْ، ورِضَاكَ بسَخَطِ رَبِّهِمْ، فَخافُوكَ ولَمْ يخَافُوا اللهَ، فَضَيَّعُوا الأمانةَ، وَأساؤُوا إلى النَّاسِ، وَأنتَ مَسؤُولٌ عَنْ أفعَالِهِمْ، وَليسُوا مَسؤُولِينَ عمَّا تَفعَلُ، فَأْمُرْهُمْ أَنْ يَنتَهُوا عَنْ ظُلْمِ النَّاسِ.

فَقالَ لَهُ سُلَيمانُ: إنَّكَ سَلَلْتَ لِسانَكَ، وهُوَ أقطَعُ مِنْ سَيفِكَ. فَقالَ: أَجَل، وَلكِنْ ذَلِكَ لِنُصْحِكَ.

المُسلِمُ حينَمَا يُقَدِّمُ النَّصِيحَةَ فإنَّهُ يُقَدِّمُهَا على أحسَنِ حَالٍ، وَلكنَّهُ يَتقبَّلُهَا على أيَّةِ حَالٍ، سَواءً كانَتْ برِفْقٍ أو بِقَسوَةٍ.

قَارُونُ والنَّصِيحَةُ

كانَ قَارُونُ رَجلاً مِنْ قَومِ مُوسَى عليـه السـلام، أنعَـمَ اللهُ علَيهِ بالمالِ الكثيرِ، لكنَّهُ لَمْ يَشكُرِ اللهَ، وبدأ يَفتُنُ النَّاسَ.

ولَمَّا رأى المُؤمِنُونَ مِنْ قَومِ مُوسَى افتتانَ النَّاسِ بِقَارُونَ وعَدمَ شُكْرِهِ لِنِعَمِ اللهِ، قَرَّرُوا أنْ يَنصَحُوهُ، فَذهَبُوا إليهِ، وقَالُوا لَهُ: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ۝٧٦ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

ولكنَّ قَارُونَ لَمْ يَستَمِعْ إلى نَصيحةِ المُؤمِنينَ، وَأنكرَ نِعَـمَ اللهِ عَليهِ، وقَالَ: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨].

وَطالَ عَنادُ قَارُونَ، وَافتُتِنَ بهِ بعـضُ النَّـاسِ. فَخَسَـفَ اللهُ بهِ وبِدَارِهِ الأرضَ، عِقاباً لَـهُ علـى عـدَمِ شُـكْرِهِ لِـنِعَمِ اللهِ عـزَّ وجلَّ، وَعدَمِ استِماعِهِ لِنَصيحةِ المُؤمِنينَ.

عَلى الإنسانِ أَنْ يَستمعَ إلى ناصحِهِ جيِّداً حتَّـى ينتَهِـيَ مِـنْ كلامِـهِ، ثمَّ يَشكُرَهُ على هذَا الاهتِمامِ، وبعدَ ذلكَ إنْ شاءَ أنْ يَعمَلَ بهَا عَمِلَ، وإنْ شاءَ تَرَكَ.

نَصِيحةٌ في العِلْمِ

ذهبَ يُونسُ النَّحْويُّ إلى أُستاذِهِ الخَليلِ بنِ أحمدَ الفَرَاهِيديِّ، يَشكُو إليهِ صُعوبةَ عِلْمِ العَرُوضِ (وهُوَ عِلْمُ أوزانِ الشِّعرِ).

وفكَّرَ الخَليلُ قليلاً، وعَلِمَ أنَّ مُيولَ تِلميذِهِ لا تتَّفِقُ معَ عِلْمِ العَرُوضِ، فَأرادَ أنْ يَنْصَحَهُ بِتَركِ هذَا العِلْمِ، وَالاتِّجاهِ إلى دراسةِ عِلْمٍ آخَرَ.

وهَدَاهُ تَفكيرُهُ إلى أنْ يَسألَهُ سُؤالاً في العَرُوضِ، وهُوَ يَقصِدُ مِنْهُ أنْ يُبلِّغَهُ نَصِيحتَهُ، فَقالَ لَهُ: مَا وَزنُ هذَا البَيتِ مِنَ الشِّعرِ؟

إذَا لَمْ تَستَطِعْ شَيئاً فَدعْهُ ... وَجاوِزْهُ إلى مَا تَستَطِيعُ

فَأدرَكَ يُونسُ نَصِيحةَ الأُستاذِ، وتَرَكَ عِلْمَ العَرُوضِ، ودَرَسَ عِلْمَ النَّحْوِ، حتَّى أصبَحَ عَلَماً مِنْ أَفضَلِ عُلَماءِ عِلْمِ النَّحْوِ.

قَدْ تكونُ النَّصِيحةُ مُؤلِمةً، لذلكَ يَجِبُ على النَّاصحِ أنْ يُقَدِّمَهَا بِشكلٍ مُناسِبٍ، حتَّى يَتقبَّلَهَا الإنسانُ بِصَدْرٍ رَحْبٍ وَطِيْبِ نَفسٍ.

نَصِيحةٌ عندَ القَبرِ

كانَ النَّبيُّ ﷺ يُكثِرُ مِنْ زيارةِ القُبورِ، وَيأمُرُ أصحابَهُ بزِيارتِهَا لأَخذِ العِظَةِ وَالاعتِبارِ، وكانَ عندَمَا يَمُرُّ على القُبورِ يَقولُ: «السَّلامُ عَليكُمْ أهلَ الدِّيارِ مِنَ المُؤمنينَ وَالمُسلِمينَ، وَإنَّا إنْ شاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقُونَ، نَسأَلُ اللهَ لنَا وَلكُمُ العافِيةَ» [مسلم]. وكانَ إذَا زارَ قُبورَ أصحابِهِ دعَا لَهُمْ، وَترَحَّمَ عَليهِمْ، وَاستَغفَرَ لَهُمْ.

وَذاتَ يَومٍ، مَرَّ علَى القُبورِ، فَوجَدَ امرأةً تَبْكِي وتَصِيحُ عندَ قبرٍ، فَقالَ لهَا: «اتَّقِي اللهَ واصبِرِي». وكانَتِ المرأةُ لا تَعرِفُ النَّبيَّ ﷺ، فَقالَتْ لَهُ: إلَيكَ عَنِّي (ابتعِدْ عَنِّي) فَإنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبتِي. فَانصَرَفَ النَّبيُّ ﷺ وَتركَهَا، فقِيلَ لهَا: إنَّهُ النَّبيُّ ﷺ. فَأسرَعَتِ المرأةُ لِتَعتذِرَ للنَّبيِّ ﷺ، وقَالَتْ: لَمْ أعرِفْكَ. فَقالَ لهَا النَّبيُّ ﷺ: «إنَّما الصَّبرُ عِندَ الصَّدمَةِ الأُولَى» [متفق عليه].

عَلى الإنسانِ أنْ يَستجِيبَ لِنُصحِ الآخَرِينَ إذَا وجَدَهُ راجِحاً، وإنْ تَعارَضَ معَ رأْيِهِ الشَّخْصيِّ.

قِصَصُ آدابِ النَّصِيحَةِ

قَالَ النَّبيُّ ﷺ: "الدِّينُ النَّصِيحةُ"، فَقَالَ الصَّحابةُ رضيَ اللهُ عنهم: لِمَنْ يَا رسولَ اللهِ؟ قَالَ: «للهِ وَلِرَسولِهِ وَلأَئِمَّةِ المُسلمينَ وَعامَّتِهِمْ» [متفق عليه].

وآدابُ النَّصِيحةِ كثيرةٌ، مِنْهَا: أَنْ تَكُونَ بِرِفْقٍ ولِيْنٍ، وَأَلاَّ تَكُونَ على مَلأٍ مِنَ النَّاسِ إلاَّ إذَا كانَ الأَمرُ يَتطَلَّبُ ذلكَ؛ لأَنَّهُ كمَا قِيلَ: النَّصِيحةُ على المَلأِ فَضِيحةٌ. وَلا بُدَّ أَنْ تَكُونَ النَّصِيحةُ بِالمَعروفِ، فَالحَقُّ مُرٌّ، وعلى مَنْ يأمُرُ بهِ أَنْ يَجْعَلَهُ حُلْواً بِحُسْنِ نَصِيحَتِهِ.

وَالنَّصِيحةُ هِيَ طريقُ الرُّسُلِ وَالأنبياءِ وَالمُصلحِينَ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ؛ فكُلُّ نَبيٍّ نصَحَ لِقَومِهِ، وَوَضَّحَ لَهُمْ الطَّرِيقَ المُستقيمَ، واللهُ عزَّ وجلَّ جعَلَ النَّصِيحةَ هِيَ طريقُ المُصلحِينَ بعدَ الأنبياءِ، فَقالَ تَعالَى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فَبالنَّصِيحةِ تَعْلُو الأُمَّةُ، وَيَقِلُّ الفَسادُ، وَتنتَشِرُ الأَخلاقُ الحَميدةُ، وَتَسُودُ أرجاءَ المُجتَمَعِ.

* * * *

سلسلة قصص في الآداب

١ آداب الطعام والشراب
٢ آداب اللعب و المزاح
٣ آداب المساجد
٤ آداب العمل
٥ آداب النصيحة
٦ آداب التحية
٧ آداب الزيارة
٨ آداب العلم
٩ آداب الذكر
١٠ آداب الدعاء
١١ الأدب مع الله عز وجل
١٢ الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم
١٣ آداب الطهارة
١٤ آداب الكلام
١٥ آداب اللباس
١٦ آداب السفر و الطريق
١٧ آداب النوم
١٨ آداب الأعياد و الأفراح

٨١٠٠٥٥